

تعليم اللغة العربية في تركيا (نظام الكتابية)

د. أحمد جمعي

لقد بُدلت جهودٌ مختلفةٌ منذُ الماضي إلى اليوم لتعلم اللغة العربية وتعليمها في تركيا وريثة الدولة العثمانية ؛ فقد احتلت اللغة العربية مكاناً مهماً في الحياة العلمية للعثمانيين و كان من الطبيعي أن ينتقل هذا الإرث إلى تركيا. فقد كان نظام الحقوق والواجبات نابعاً من التشريع الإسلامي كما أن اللغة العثمانية كانت تكتب بالحروف العربية من أجل ذلك فرضت اللغة العربية أهميتها على العثمانيين في كل بقعة استولوا عليها. وقد ورثت الدولة العثمانية الدول أو الإمارات السابقة ولا سيما الدولة السلجوقية ، وقلدتها واستفادت من أنظمتها الإدارية .

وتعرفت من خلال نظام التدريب أيضاً إلى أنواع التربية المختلفة تدرّسها في المدارس النظامية التي تؤدي دورها التعليمي والتربوي بحسب الشريعة الإسلامية ، كما كانت هذه المدارس تهتم كثيراً باللغة العربية وآدابها وبذل العلماء فيها جهوداً جبارة لتعليم العربية وتقويم السنة الطلبة . وكان حرياً بهذه الجهود أن تنتقل إلى تركيا سليله الدولة العثمانية التي أسست إثر انهيار الدولة العثمانية ؛ إلا أن الدولة الناشئة أهملت هذا الإرث بادئ ذي بدء ، ثم استدركت الأمر لاحقاً استشعاراً منها بأهمية هذا التراث الإسلامي في حياة الشعب فأخذت بنفض الغبار عنه بحثاً ومفاتيحةً وتعليمياً ، وقامت باستخراجه من المكتبات ؛ لترى النور وتنبير عقول الطلبة .

وقد اعترض السلف الصالح من العلماء الذين اهتموا بهذا التراث مصاعب جمّة ، وتحملوا عناء كبيراً ولا سيما في السنين الأولى من عمر الدولة الجديدة حتى بلغوا الهدف في إحياء هذا التراث العظيم وإيصاله إلى الأجيال القادمة بكل أمانة وإخلاص وجد واجتهاد .

وتهتم تركيا باللغة العربية بطريقتين :

- إحداها : طريقة رسمية حكومية في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعات بإشراف الدولة ورعايتها ، فاللغة العربية في التعليم الابتدائي والمتوسط يكون اختياريًا ، بينما في الجامعات يتم تدريسها في قسم اللغة العربية وآدابها ، وكذلك في كلية الإلهيات .
- والثانية : يتم تدريسها في ثانويات تُعد بمثابة الشكل المتطور لنظام الكتابية يديرها ويقوم بشؤونها أئمة وخطباء وهذه المدارس بدأت منذ أكثر من ستين سنة ، وسنت سنة في التربية والتعليم مازالت مستمرة إلى يومنا هذا .
- وبعدُ : فسأتحدث عن النوع الثاني أو الطريقة الثانية من تعليم اللغة العربية التي ذكرناها آنفاً وهي غير رسمية وتوشك أن تتحول إلى رسمية أيضاً بسبب نشاطها وتأثيرها القويين في الحياة العامة للناس على الصعيدين التربوي والتعليمي . وهذه المدارس تنتشر على طول الدولة التركية وعرضها ، وتعمل بجد ونشاط دون كلال أو ملال وأكثر انتشارها بين الأكراد .

وهذه المدارس لها نظام خاص بها يعود إلى قرون زمنية قديمة جداً ، وكان لها دور كبير في نشر الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه والحفاظ عليه على مر العصور .

وسأعرض لكم أسماء هذه المدارس : مدرسة (سوز) في جزيرة ١ ابن عمر الشهيرة بين الأكراد بجزيرة بونان،

ومدرسة (حَسَنٌ وَلِي بَك) في مُكْسَ٢، ومدرسة (سَيِّدا) في بَدَلَيْسَ٢، ومدرسة (مُلا نادر) في مركز آغري، ومدرسة (مُلا موسى جَلالِي) في دوغوبايَزِيد تابعة بمحافظة آغري٥، ومدرسة (خُرْخُر) لبدیع الزمان سعيد النورسي٦ في وأن٧، ومدرسة (ملا خليل الأَسْعَرْدِي) في سَعْرَد٨، ومدرسة (مُلا مُحَمَّد بَرْدَاوي، بيلدریم) في قرية بَرْدَاو في باتُّوس٩، ومدرسة (ملا شوكت آسِي) في مركز باتُّوس، ومدرسة (جُوخ رَشِي) في قَرَه يازِي في أَرْضُوم١٠، ومدارس بَدَلَيْس و نُورَشِين١١ و مُوش١٢ و أوخِين١٣ و سلوان١٤ و دياربِكْر (أَمَد)١٥ و تَللُو١٦ و مَوْصَل١٧ و زاخُو١٨ و مدارس أخرى كثيرة يطول الحديث عنها بما لا يسمح المقام. ومعظم تلك المدارس ما زالت نابضة بالعلم والحياة.

وتهتم هذه المدارس بالمذهب الشافعي وتدرسه، حرصا على المعتقد الديني للطلبة. ومعظم تلك المدارس متعلقة بالطريقة النقشبندية وإمامها مولانا خالد البغدادي١٩ المعروف بشاه نقشبند. وتجري هذه المدارس حلقة ذكر يوميا بعد الصلاة العصر تُسمى (حَتْمَة).

يبدأ المتعلم في هذه المدارس بقراءة القرآن الكريم على يد مقرر، وبعد تعلم القرآن الكريم يقرأ ما يسمي (المولد) وهو نظم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وحياته وشماله٢٠، ولفهم القرآن الكريم فهما صحيحا لا بد للطلاب- غير العربي- أن يقرأ ويحفظ متن (نوبهارا بَجُوكَان) للملا أحمد خاني٢١ وهو نظم باللغة الكردية والعربية بمثابة قاموس كردي-عربي. ومن ثم يتم تدريس كتاب (نَهْجُ الْأَنَام) للملا خليل الأَسْعَرْدِي٢٢ وحفظه وهو كتاب في العقيدة ويدرس معه كتيبات أخرى في العقيدة. وقديما كان الطالب يستغرق في التعلم مدة عشرين سنة ثم يتخرج في هذه المدارس عالما يبدأ بالتعليم في المساجد والتأليف إلا أن هذه المدة حددت بأربع سنوات في وقتنا الحالي.

والمناهج التي تُدرّس في هذه المدارس هي:

- علم الصرف: الأمثلة، والبناء، والعزي، ومقصود، ٢٢، وسعديني (شرح العزي) ٢٤.
- علم النحو: العوامل ٢٥، والظروف والتركيب ٢٦، وشرح العوامل، والمغني ٢٧، وشرح المغني ٢٨، وقطر الندى، والألفية (شرح ابن عقيل أو شرح السيوطي)، وملا جامي ٢٩.
- علم الفقه: الفقه الحنفي: نور الإيضاح ٣٠، والاختيار ٣١.
- الفقه الشافعي: غاية الاختصار ٣٢، والسراج الوهاج ٣٣، ومغني المحتاج ٣٤، وأصول الفقه، حاشية البيجوري ٣٥.
- علم الحديث: رياض الصالحين، والتاج ٣٦، وأصول الحديث.
- علم التفسير: تفسير الجلالين، وتفسير البيضاوي، وتفسير الصاوي ٣٧، والكشاف، وتفسير الخازن ٣٨، والإتقان في علوم القرآن ٣٩، وأصول التفسير ٤٠.
- علم العقائد: عقائد أهل السنة، وجوهرة التوحيد ٤١.
- علم المنطق: السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الأخضري.

وحتى قبل عشرة أعوام من يومنا هذا، كان يتم تربية طلاب العلم الذين كانوا يُسمون «فقهاء» من طرف أهل المنطقة تحت إشراف إمام القرية، والذين كانوا يبيتون ويسكنون في حجر مبنية متصلة بالمسجد، وكان أهل المدن والقرى على فقرهم يتكفلون بأمور الطعام وحتى اللباس لطلبة العلم. وما زال هذا المنهج التدريسي مستمرا في هذه المدارس إلى يومنا هذا. ومن هذه المدن محافظة ماردين التي تقع جنوب شرق تركيا فيها عشر مدارس من هذه المدارس وأشهرها «مدرسة قبالي» نسبة إلى بلدة قبالي التي تقوم بالتربية والتعليم في علوم العربية والدين، وفيها أكثر من مئتي طالب. وقد أسسها حاجي شاكر نوح أوغلو وهو من أغنياء قرية قبالي ويتكفل بمصاريف المدرسة مدرسين وطلاب على نفقته الخاصة. وهذه المدرسة أشبه بكلية في نظامها التعليمي وتهتم كثيرا بتحفيظ القرآن الكريم وعلوم العربية، ويشرف الملا وزير أصلان على العملية التعليمية ومدرسي المدرسة.

ومن مدرسي المدرسة : عبدالغالب أصلان، وعبدالوهاب آقيوز، ورسول آجار، وشعبان دوغان، ورشاد آرسوز. وتوجد غرف الدراسة وقاعات النوم للطلاب الذين يحفظون القرآن الكريم في القسم الأيمن لمدخل المدرسة ذات الطابقين التي تم تأسيسها حول فناء واسع. وتم إنشاء جامع/مسجد كبير ذي مئذنتين مع مشتملاته الواسعة مقابل المدرسة .

وأما في القسم الأيسر لمدخل الفناء، توجد غرف الدراسة وقاعات النوم المختلفة حيث يدرّس فيها الطلاب/الفقهاء الكبار مع وجود مكتبة غنيّة وواسعة للمدرسة، وتوجد قاعات الكتب المختلفة يرتادها الطلاب ويستفيدون منها كثيراً، ويُقيل الطلاب في هذه المدرسة من داخل تركيا و خارجها على حدّ سواء . ويتمّ التدريس وفق برنامج يبدأ قبل الظهر وبعد الظهر في خمسة أيام لكل أسبوع. ولا يجري التدريس بعد الظهر ليوم الخميس ويومي الجمعة والسبت.

وسيّدا/الملا الذي هو المدرّس الرئيس للمدرسة، يدرّس الطلاب الذين وصلوا مستوى معيّنًا ومعهم يدرّس الطلاب الآخرين أيضا عند الحاجة. ويمكن أن يُدرّس طالب في الصفوف المتقدّمة طلابًا في السنوات الأولى نيابة عن الملا و يكون بمثابة معيد. ويستطيع الطالب أن يختار كتابًا خارج منهاجه المقرّر ويقرؤه بمساعدة مدرّس يختاره هو .

وتقام صلاة الجماعة في مسجد ملاصق للمدرسة وهذا المسجد لعموم المصلين من القرية أو غيرهم . وفي كل يوم يتمّ إجراء ختمة الطريقة النقشبندية (حلقة الذكر) في المسجد عقب صلاة العصر، وتستغرق نحو عشرين دقيقة و في هذه الختمة يتلو شيخ الطريقة أو الملا الأذكار و الصلوات على النبي الأكرم صلوات الله و سلامه عليه و كل واحد من الحاضرين يردّد الأذكار في قلبه .

ويعامل الطلاب باحترام كبير في المدرسة ممّا يؤدي إلى التآلف بين الطالب و المدرّس و يشجّع على العلم و التحصيل . و تتبع المدرسة عقوبة فصل الطالب من المدرسة بعد إنذار إذا تكرّرت منه مخالفة قوانين المدرسة أو الأخلاق الإسلامية .

ويتمّ الإجازة لمن أكمل دراسته في هذه المدرسة. ويتمّ إعطاء هذه الإجازة من قبل بضعة أساتذة خبراء في مجالهم، ويتمّ توقيع شهادة الإجازة من طرف هؤلاء الأشخاص. وفي دورة التخرّج يتمّ إقامة حفلة كبيرة ويتمّ تسليم الإجازات بحضور الطلاب. وكان المتخرّج في هذه المدرسة يمارس مهنة إمامة أحد الجوامع في المنطقة أمّا في يومنا هذا لا يمكنه ذلك ؛ لأنّ المدرسة غير رسمية فيضطرون للدراسة في مدرسة أخرى لضمان وظيفة بعد التخرّج .

وبرنامج الدرس الأسبوعي للمدرسة كما يلي:

المدرسون	الساعة		الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس
الملا وزير	١	٤	ملا جامي	ملا جامي	ملا جامي	ملا جامي	ملا جامي
	٢	٣	عمدة السالك	عمدة السالك	عمدة السالك	عمدة السالك	عمدة السالك
	٣	٢	رياض الصالحين	رياض الصالحين	رياض الصالحين	رياض الصالحين	رياض الصالحين
			جواهر الكلامية	جواهر الكلامية	سيرة خاتم النبيين	جواهر الكلامية	سيرة خاتم النبيين

الملا عبد الغالب	١	٢	شرح المغني	شرح المغني	شرح المغني	شرح المغني	شرح المغني
	٢	١	الأمسلة	الأمسلة	الأمسلة	الأمسلة	الأمسلة
	٣	٢	رياض الصالحين	رياض الصالحين	رياض الصالحين	رياض الصالحين	نور اليقين
			نور اليقين	نور اليقين	التبيان في علوم القرآن	نور اليقين	التبيان في علوم القرآن
الملا شعبان	١	١	مولود الشريف	مولود الشريف	مولود الشريف	مولود الشريف	مولود الشريف
	٢	٢	شرح ابن قاسم	شرح ابن قاسم	شرح ابن قاسم	شرح ابن قاسم	شرح ابن قاسم
	٣	٤	تفسير جلالين	تفسير جلالين	تفسير جلالين	تفسير جلالين	شرح الصاوي
			شرح الصاوي	شرح الصاوي	مصطلح الحديث	شرح الصاوي	مصطلح الحديث
الملا عبد الوهاب	١	٢	شذا العرف	شذا العرف	شذا العرف	شذا العرف	شذا العرف
	٢	٤	منهاج النووي	منهاج النووي	منهاج النووي	منهاج النووي	منهاج النووي
	٣	١	غاية الإختصار	غاية الإختصار	غاية الإختصار	غاية الإختصار	نهج الأنام
			قصص النبيين	نهج الأنام	قصص النبيين	نهج الأنام	قصص النبيين

المصادر:

- ١- الأعلام للزركلي، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت-٢٠٠٢.
- ٢- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت-١٩٩٥.
- ٣- المكتبة الشاملة، ٢٠١٥.
- ٤- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-١٩٩٣.
- ٥- المدرسة الخزنية، (مقالة غير منشورة)، إسلام جأنكير.
- ٦- الكافية الكبرى للملا خليل الأسعدي، (رسالة ماجستير نوقشت في جامعة دمشق ٢٠١٠) دراسة وتحقيق إسلام جأنكير.
- ٧- تاريخ مشاهير كرد، بابا مردوخ روحاني، تهران-٢٠٠٣.
- ٨- ٨- Ark Medreselerinin Serencamı, Prof. Dr. Halil ÇIÇEK, Beyan Yay. İstanbul-٢٠٠٩.

الهوامش

- ١ هي بلدة تابعة لمحافظة شَرْنَاخَ في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بثلاثمائة كيلو متر تقريبا.
- ٢ هي بلدة تابعة لمحافظة وانَ في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بخمسمائة كيلو متر تقريبا.
- ٣ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بثلاثمائة كيلو متر تقريبا.

- ٤ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بخمسمائة كيلو متر تقريبا.
- ٥ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بخمسمائة كيلو متر تقريبا.
- ٦ هو بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٧-١٩٦٠ م)، ولد في بَدَلِيس وتوفي في عُرْفَةَ (حَرَّان)، له مؤلفات كثيرة، راجع: المكتبة الشاملة/ <http://shamela.ws/index.php/author>. (١٢، ٢١، ٢٠١٥).٤٠
- ٧ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بأربعمائة كيلو متر تقريبا.
- ٨ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بمائتي كيلو متر تقريبا.
- ٩ هي بلدة تابعة لمحافظة أَعْرِي في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بخمسمائة كيلو متر تقريبا.
- ١٠ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بستمائة كيلو متر تقريبا.
- ١١ هي بلدة تابعة لمحافظة مُوش في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بثلاثمائة كيلو متر تقريبا.
- ١٢ هي محافظة في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بثلاثمائة كيلو متر تقريبا.
- ١٣ هي قرية تابعة لمحافظة بدليس في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بثلاثمائة كيلو متر تقريبا.
- ١٤ هي بلدة تابعة لمحافظة دياربكر في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بثمانين كيلو متر تقريبا.
- ١٥ هي محافظة كبيرة في شرق تركيا، راجع: معجم البلدان، ٤٩٤/٢.
- ١٦ هي بلدة تابعة لمحافظة سعيرد في شرق تركيا وبعيدة عن دياربكر بمائتي كيلو متر تقريبا.
- ١٧ هي محافظة كبيرة تقع في شمال عراق.
- ١٨ هي محافظة تقع في شمال عراق.
- ١٩ هو خالد بن أحمد بن حسين الشهرزوري، الكردي، الشافعي (بهاء الدين)، (١١٩٣ - ١٢٤٢ هـ/١٧٧٩ - ١٨٢٧ م). شيخ الطريقة النقشبندية. ولد بقره داغ من بلاد شهرزور، وهاجر إلى بغداد، ورحل إلى دمشق وتوفي بها في ٢٨ شوال. من آثاره: العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريدي والأشعري، الرسالة الخالدية في آداب الطريقة النقشبندية، شرح مقامات الحريري، شرح العقائد العسدية، وديوان شعر. راجع: معجم المؤلفين، ٩٤/٤.
- ٢٠ وهذا النظم يقرأ في مناسبة المولد النبوي الشريف كل عام.
- ٢١ هو أحمد بن إلياس بن رستم الملقب بخاني شاعر وأديب كردي وهو صاحب الملحمة الشعرية مم وزين ونوبهارا بجوكان تـ ١١١٩هـ. راجع: تاريخ مشاهير كرد، ٢١٧/١.
- ٢٢ هو خليل بن حسين الأشعري (١١٦٧ - ١٢٥٩ هـ/١٧٥٣ - ١٨٤٢ م) : من فقهاء الشافعية، له كتب، منها: أزهار الغصون من مقولات أرباب الفنون و القاموس الثاني في النحو والصرف والمعاني و منهاج السنة السننية في آداب سلوك الصوفية وله في التفسير مختصر ومطول لم يكمل. راجع: الأعلام للزركلي، ٢١٧/٢.
- ٢٣ وهي كتب في الصرف مجموعة في كتاب «مقيّد صرف جملي» نشر عن طريق التصوير في إسطنبول مطبعة صلاح بيليجي.
- ٢٤ نسبة إلى الإمام سعد الدين بن مسعود التفتازاني تـ ٧٩١، وهو شرح لكتاب العزّي في الصرف.
- ٢٥ للجرجاني تـ ٤٧١ هـ.
- ٢٦ للملا يونس الأرقطني تـ ٩٤٠ هـ.
- ٢٧ مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري تـ ٧٦١ هـ.
- ٢٨ لمحمد بن عبد الرحيم بن الحسين العمري الجيلاني تـ ٨١١ هـ.
- ٢٩ هو كتاب الفوائد الضيائية لنورالدين عبد الرحمن بن أحمد جامي الخراساني ٨١٧/٨٩٨ هـ. المعروف بالملا جامي في شرح كتاب الكافية لابن حاجب.
- ٣٠ لحسن بن علي الشرنبلالي تـ ١٠٦٩ هـ.

- ٣١ لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي تـ ٦٨٣ هـ.
- ٣٢ الشهير بمتن أبي شجاع تأليف القاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني تـ ٥٩٢ هـ.
- ٣٣ لمحمد الزهري الغمراوي تـ ١٢٢٧ هـ.
- ٣٤ مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي تـ ٩٧٧ هـ.
- ٣٥ حاشية البيجوري على شرح ابن قاسم الغزي على متن أبي شجاع.
- ٣٦ التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول للشيخ منصور علي ناصف الحسيني تـ بعد ١٣٧١ هـ.
- ٣٧ وهو حاشية الصاوي على تفسير الجلالين لأبي العباس أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي المالكي تـ ١٢٤١ هـ.
- ٣٨ لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيجي أبي الحسين المعروف بالخازن تـ ٧٤١ هـ.
- ٣٩ لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي تـ ٩١١ هـ.
- ٤٠ لمساعد بن سليمان الطيار.
- ٤١ أحد أهم متون علم العقيدة والكلام عند أهل السنة والجماعة من الأشاعرة مؤلفه إبراهيم اللقاني المالكي تـ ١٠٤١ هـ.